[198] ومن استشف الحقيقة من هذا الموقف علم أنها قضية شخصية لا تعد قصة تبوك لما كان صلى ا عليه وآله يعلمه من عدم وقوع الحرب فيها، وكانت حاجة المدينة إلى خلافة مثل أمير المؤمنين عليها مسيسة لما تداخل القوم من عظمة ملك الروم (هرقل) و تقدم جحفله الجرار، وكانوا يحسبون أن رسول ا صلى ا عليه وآله وسلم وحشده الملتف به لا قبل لهم به، ومن هنا تخلف المتخلفون من المنافقين، فكان أقرب الحالات في المدينة بعد غيبة النبي صلى ا عليه وآله وسلم أن يرجف بها المنافقون للفت في عضد صاحب الرسالة، والتزلف إلى عامل بلاد الروم الزاحف، فكان من واجب الحالة عندئذ أن يخلف عليها أمير المؤمنين عليه السلام المهيب في أعين القوم، والعظيم في النفوس الجامحة، وقد عرفوه بالبأس الشديد، والبطش الصارم، إتقاء بادرة ذلك الشر المترقب. وإلا فأمير المؤمنين عليه السلام لم يتخلف عن مشهد حضره رسول ا صلى ا عليه وآله وسلم إلا تبوك (1) وعلى هذا إتفق علماء السير كما قال سبط ابن الجوزي في (التذكرة) ص 12. وفي وسع الباحث أن يستنتج ما بيناه من قوله صلى ا عليه وآله وسلم لعلي: كذبوا ولكن خلفتك لما ورائي. فيما أخرجه ابن إسحق بإسناده عن سعد بن أبي وقاص قال: لما نزل رسول ا الجرف طعن رجال من المنافقين في إمرة علي وقالوا: إنما خلفه استثقالا فخرج علي فحمل سلاحه حتى أتى النبي صلى ا عليه وآله بالجرف فقال: يا رسول ا ؟ ما تخلفت عنك في غزاة قط قبل هذه قد زعم المنافقون إنك خلفتني استثقالا. فقال: كذبوا ولكن خلفتك لما ورائي. الحديث (2) ومما صح عنه صلى ا عليه وآله حين أراد أن يغزو أنه قال: ولا بد من أن أقيم أو تقيم. فخلفه (3). إذا عرفت ذلك كله فلا يذهب عليك أن قوله صلى ا عليه وآله وسلم: لا ينبغي أن أذهب إلا و أنت خليفتي. ليس له مغزى إلا خصوص هذه الواقعة، وليس في لفظه عموم يستوعب

_____

(1) الاستيعاب 3 ص 34 هامش الإصابة، شرح التقريب 1 ص 85، الرياض النضرة 2 ص 163، الصواعق 72، الإصابة 2 ص 507، السيرة الحلبية 3 ص 148، الاسعاف 149. (2) الرياض النضرة 2 ص 162، الامتاع للمقريزي 49 ؟ ؟، عيون الأثر 2 ص 217، السيرة الحلبية 3 ص 148، شرح المواهب للزرقاني 3 ص 69، سيرة زيني دحلان 2 ص 338. (3) أخرجه الطبراني بطريق صحيح كما في مجمع الزوائد 9 ص 111.

_____